الكلية: التربية		الفرقة: الثالثة (عام)
الشعبة: اللغة العربية	المادة: الفكر النقدى عند العرب	الزمن: ساعتان

اختبار الفصل الدراسى الثانى للعام الجامعي ٢٠١٣ ـ ٢٠١٤

أجب عن سؤالين فقط من الأسئلة الآتية:

١. تحدث عن الفكر النقدى لدى "الجاحظ" وذلك بالتركيز على طريقة تأليفه ومنهجه وأهم القضايا الفكرية والنقدية التى يطرحها ويعالجها، مع مراعاة التعليق على نصوص من كتاباته.

٢. يكتنز تراثنا العربي بمجموعة كبيرة من الكتب التراثية التى اختصت بالطفيليين وأدبهم وذكر أخبار هم وأشعارهم.. اذكر هذه الكتب . ثم تحدث بالتفصيل عن "الخطيب البغدادى" وكتابه.

٣. فى الليلة السابعة من كتاب "الإمتاع والمؤانسة" دارت مناظرة حجاجية بين "ابن عبيد" و"أبى حيان" حول الحساب والاستدراك والتفصيل فى مقابل البلاغة والإنشاء والتحرير .. وتكشف المناظرة عن الفكر النقدى للتوحيدى.. لخص المناظرة ثم علق عليها بأسلوبك.

أطيب المنى

د. أحمد علوانى

جامعة بنها ـ كلية : التربية

الشعبة: اللغة العربية
الفرقة: الثالثة (عام)
نموذج إجابة لمادة: الفكر النقدى عند العرب
الزمن: ساعتان . الفصل الدراسى الثانى ٢٠١٤ . ٢٠١٥

أطيب المنى د. أحمد شحاتة علوانى ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

نموذج الإجابة

إجابة السؤال الأول:

٤. تحدث عن الفكر النقدى لدى "الجاحظ" وذلك بالتركيز على طريقة تأليفه ومنهجه وأهم القضايا الفكرية والنقدية التى يطرحها ويعالجها، مع مراعاة التعليق على نصوص من كتاباته.

كان الجاحظ كاتباً موسوعياً، وتعتبر كتبه دائرة معارف متنوعة، حيث كتب في كل شيء تقريبًا؛ كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء والسلطان والجند والقضاة والولاة والمعلمين واللصوص والإمامة والحول والعور وصفات الله والقيان والهجاء.

كانت ولادته في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ومات في خلافة المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هجرية، فعاصر بذلك ١٢ خليفة عباسياً هم: (المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين وا لمعتز والمهتدي بالله)، وعاش القرن الذي كانت فيه الثقافة العربية في ذروة ازدهارها.

كان دميماً قبيحاً جاحظ العينين، ولكنّه لم يضق بدمامته، وعاش عمره كائناً اجتماعيّاً متفائلاً، يفرض احترامه على الجميع بسبب فصاحته وجمال أسلوبه، ونصاعة بيانه . اتجه نحو بغداد وكانت مجمع أهل العلم والفضل، وفي بغداد برز عمرو بن بحر بين أقرانه كاتبًا بليغاً، وسرعان ما تصدّر للتدريس، وتولّى ديوان الرسائل للخليفة المأمون.

وفاته:

عمّر الجاحظ نحو تسعين عاماً، ويتحدّث كتّاب السير عن نهايته الحزينة في عام ٢٥٥هـ عندما سقطت الكتب عليه فمات.

نماذج من كتابات الجاحظ

فى البدء لابد من الحديث عن : أسلوب "الجاحظ" في الكتابة ، حيث امتاز "الجاحظ" أدبه بالعمق والأصالة والواقعيّة، وأسلوبه بالدقّة والإيجاز، والتلاؤم في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فجاءت عباراته واضحة بعيدة عن الابتذال والغموض. وكان يميل إلى الفكاهة ويصور الواقع دون تستر أو محاولة للتجميل، فرسم طبقات المجتمع المتفاوتة التي خالطها، وبعد عن استخدام الخيال والصور المجازية، و اعتمد في العرض علي الجدل المنطقي فأختار ألفاظاً دقيقة واضحة الأداء وبعد في ألفاظه عن الخشونة والغرابة.

ولأن الجاحظ كان غز ير العلم.. مستوعبًا لثقافات عصره.. فقد كانت مراجعه في كتبه تمتد لتشمل القرآن الكريم والحديث النبوي والتوراة والإنجيل وأقوال الحكماء والشعراء وعلوم اليونان وأدب فارس وحكمة الهند بالإضافة إلى تجاربه العلمية ومشاهداته وملاحظاته الخاصة.

وقد كان للجاحظ أسلوب فريد يشبه قصص ألف ليلة وليلة المتداخلة... إذ أن شهرزاد تحكي لشهريار قصة... ثم يحكي أحد أبطال هذه القصة قصة فرعية .. وتتخلل القصة الفرعية قصة ثالثة ورابعة أحيانًا ..ثم نعود للقصة الأساسية .. فالجاحظ يتناول موضوعًا ثم يتركه ليتناول غيره .. ثم يعود للموضوع الأول .. وقد يتركه ثانية قبل أن يستوفيه وينتقل إلى موضوع جديد... وهكذا.

ويعد الجاحظ من أغزر كتّاب العالم إنتاجاً؛ فقد كتب حوالي ٣٦٠ كتابًا في كل فروع المعرفة في عصره ... وكان عدد كبير من هذه الكتب في مذهب الاعتزال .. وبحث مشكلاته.. والدفاع عنه... لكن التعصب المذهبي أدى إلى أن يحتفظ الناس بكتب الجاحظ الأدبية.. ويتجاهلوا كتبه الدينية فلم يصل إلينا منها شيء. ومن أشهر وأهم كتب الجاحظ كتابا "البيان والتبيين" و"الحيوان". وله تصانيف أخرى كثيرة، منها: "سحر البيان" و"التاج" و"البخلاء" و"المحاسن والأضداد"، و"البرصان والعرجان والعميان والحولان" و"رسائل الجاحظ".

كتابا "البيان والتبيين" و "الحيوان".

ومن أشهر وأهم كتب الجاحظ كتابا "البيان والتبيين" و"الحيوان". فأما عن "البيان والتبيين" فهو كتاب في الأدب يتناول فيه موضوعات متفرقة مثل الحديث عن الأنبياء والخطباء والفقهاء والأمراء... والحديث عن البلاغة واللسان والصمت والشعر والخطب والرد على الشعوبية واللحن والحمقى والمجانين ووصايا الأعراب ونوادرهم والزهد.. وغير ذلك.

وفي هذه الموسوعة الأدبية والثقافية، وكما في سائر كتبه، نلمس ثقافة الجاحظ الواسعة، وأسلوبه الرفيع الذي ينتقل فيه من باب إلى قضية إلى خبر طريف، هذا التنوع جعل مادة الكتاب غنية ودسمة وممتعة تعلم القلب والعقل، تؤنس القارئ وفي الوقت نفسه تعلمه، وهذه الطريقة انفرد بها الجاحظ ومارسها بطريقة خلاقة وأصيلة.

فكل فصل من الفصول –كما يقول أحمد أمين عن كتاب البيان والتبيين– "فوضى لا تضبط، واستطراد لا يحد... والحق أن الجاحظ مسئول عن الفوضى التي تسود كتب الأدب العربي، فقد جرت على منواله، وحذت حذوه، فالمبرد تأثر به في تأليفه، والكتب التي ألفت بعد كعيون الأخبار والعقد الفريد فيها شيء من روح الجاحظ، وإن دخلها شيء من الترتيب والتبويب.. والجاحظ مسئول عما جاء في الكتب بعده من نقص وعيب، لأن البيان والتبيين أول كتاب ألف في الأدب على هذا النحو وأثر فيمن جاءوا بعده.. وأوضح شئ من آثار الجاحظ في كتب الأدب إذا قورنت بالعلوم الأخرى الفوضى والمزاح ومجون يصل إلى الفحش أحيانًا.

وأما عن كتاب الحيوان – وهو من مؤلفات الجاحظ الأ خيرة أيضاً – أول كتاب وضع في العربية جامع في علم الحيوان.. لأن من كتبوا قبل الجاحظ في هذا المجال أمثال الأصمعي وأبي عبيدة وابن الكلبي وابن الأعرابي والسجستاني وغيرهم.. كانوا يتناولون حيوانًا واحدًا مثل الإبل أو النحل أو الطير .. وكان اهتمامهم الأول والأخير بالناحية اللغوية وليس العلمية.. ولكن الجاحظ اهتم إلى جانب اللغة والشعر بالبحث في طبائع الحيوان وغرائزه وأحواله وعاداته.

هذا الكتاب موسوعة حقيقية لأنه يضم موضوعات متنوعة وفي مجالات شتى، إذ لم يترك فيه الجاحظ موضوعا إلا وتحدث عنه بما تراكم عنده من معارف وتج ارب. وهو وإن أعطاه اسم **الحيوان** لأنه تناول فيه العديد من الحيوانات من مختلف جوانبها، وفي علاقتها بالإنسان وبما يتصوره عنها وبما قاله فيها من أشعار وما تداول بصددها من أخبار، فهو يراقب الديكة والدجاج والكلاب ليعرف طباعها، ويسأل أرباب الحرف ليتأكد من معلومات الكتب، ولا سيما كتاب "الحيوان" لأرسطو، فمثلاً، قال أرسطو:

"إن إناث العصافير أطول أعمارًا، وإن ذكورها لا تعيش إلا سنة واحدة ..." فانتقده الجاحظ بشدة لأنه لم يأت بدليل، ولامه لأنه لم يقل ذلك على وجه التقريب بل على وجه اليقين.

إلى جانب ذلك تناول "الجاحظ" فى كتا به: "الحيوان" قضايا هامة سبق الجاحظ غيره على التصنيف فيها، أو تعميق النظر في مختلف جزئياتها مثل قضايا تتعلق بتأليف الكتب ومسائل تتصل بالترجمة، إلى جانب جوانب أخرى ترتبط بالأدب واللغة والنحو والبيان.

فكتابه "الحيوان" لم يقتصر فيه على الموضوع الذي يدل عليه عنوان الكتاب.. بل تناول بعض المعارف الطبيعية والفلسفية.. وتحدث في سياسة الأفراد والأمم.. والنزاع بين أهل الكلام وغيرهم من الطوائف الدينية.. كما تحدث في كتاب الحيوان عن موضوعات تتعلق بالجغرافيا والطب وعادات الأعراب وبعض مسائل الفقه ... وما إلى ذلك من الأمور ا لتي خصص لها أبوابا عديدة في مختلف مصنفاته.

ويرى عبدالسلام هارون . محقق الكتاب . أن الجاحظ اعتمد على عدة مراجع فى تأليف كتابه : الحيوان وهى:

١. القرآن الكريم والحديث الشريف.
٢. أشعار العرب وكلامهم.

٣. كتاب الحيوان لأرسطو.
٤. النزعة الكلامية وتأثره بفكر المعتزلة فى النقاش والتحليل.
٥. الخبرة الشخصية والمراقبة لسلوك وطباع الحيوان.

أسلوبه فى الكتاب:

وقد أوضح الجاحظ في "الحيوان" أسلوب تأليفه للكتاب قائلاً: **"متى خرج – القارئ– من آي القرآن صار إلى الأثر، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر، ثم يخرج من الخبر إلى الشعر، ومن الشعر إلى النو ادر، ومن النوادر إلى حكم عقلية ومقاييس شداد، ثم لا يترك هذا الباب ولعله أن يكون أثقل والملال أسرع حتى يفضي به إلى مزح وفكاهة وإلى سخف وخرافة ولست أراه سخفًا".**

ويبدو أن عدم ثقة الجاحظ في القراء على وجه العموم كانت سبباً في سلوكه هذا السبيل ... فهو يقول: "ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمان، ويظهر اصطناع الكتب في هذا الدهر لما احتجت إلى مداراتهم واستمالتهم، وترقيق نفوسهم وتشجيع قلوبهم –مع فوائد هذا الكتاب– إلى هذه الرياضة الطويلة، وإلى كثرة هذا الاعتذار، حتى كأن الذي أفيده إياهم أستفيده منهم، وحتى كأن رغبتي في صلاحهم رغبة من رغب في دنياهم".

كما يتحدث عن منهجه فى الكتاب فيقول : "وهذا كتابٌ تستوي فيه رغبةُ الأُمم، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم، لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابياً، وإسلاميًّا جماعيًّا، فقد أخَذَ من طُرَفِ الفلسفة، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلْم التجرِبة، وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة، وبينَ وِجْدان الحاسَّة، وإحساس الغريزة، ويشتهيه الفتيان كما تشتهيه الشيُوخ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسك، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللَّهو كما يشتهيه المجدّ ذو الحَزْم، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفَطِن".

والأسلوب أحد المميزات الكبرى التي تمتع بها الجاحظ، فهو سهل واضح فيه عذوبة وفكاهة واستطراد بلا ملل، وفيه موسوعية ونظر ثاقب وإيمان بالعقل لا يتزعزع . والجاحظ بهذا الفكر الذي يُعلي من شأن العقل، وهذه الثقافة المتنوعة الجامعة، وهذا العمر المديد بما يعطيه للمرء من خبرات وتجارب، وهذا الأسلوب المميز : استحق مكانه المتميز في تاريخ الثقافة العربية بما له من تأثير واضح قوي في كل من جاءوا بعده.

==========

السؤال الثاني:

٥. يكتنز تراثنا العربي بمجموعة كبيرة من الكتب التراثية التى اختصت بالطفيليين وأدبهم وذكر أخبار هم وأشعارهم.. اذكر هذه الكتب . ثم تحدث بالتفصيل عن "الخطيب البغدادى" وكتابه.

كتب التطفيل وأخبار الطفيليين:

ثمة كتب تراثية جاء موضوعها قاصراً على التطفيل، وأخبار الطفيليين، وثمة كتب أخرى عرضت لأخبار الطفيليين فى باب أو فصل من فصولها.

- فأما عن الكتب الخاصة بالتطفيل وأخبار الطفيليين، فهي:

١) كتاب "الطفيليين" للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، والذى ورد ذكره في "معجم الأدباء " لياقوت الحموى؛ ولكن الكتاب لم يصل إلينا.

٢) كتاب "أخبار الطفيليين" لأبى الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ)، وقد ورد ذكره فى في "معجم الأدباء " لياقوت الحموى؛ ولكن الكتاب لم يصل إلينا أيضاً.

٣) كتاب "التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم " للحافظ المؤرخ أبى بكر أحمد بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ

٤) كتاب "القول النبيل بذكر التطفيل " لـ شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي القاهرى الشافعي (٨٠٨ هـ)

- وأما عن الكتب التى خصت التطفيل والطفيليين بباب أو فصل، فهى:

١) كتاب "العقد الفريد"، لـ "ابن عبدربه"، حيث عقد فصلاً بعنوان: "أخبار الطفيليين"[1].

٢) كتاب "نثر الدر" "للآبى"، جاء الباب العاشر فى "نوادر الطفيليين والأكلة"

٣) كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب " "للحصرى القيروانى "، عقد فصلان موجزان؛ الأول بعنوان : "فى التطفيل"، وتلاه الثانى وعنوانه: "ألفاظ لأهل العصر في صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم"

٤) كتاب "التذكرة الحمدونية"، "لابن حمدون"، جعل الباب السادس والأربعون : "فى المؤاكلة والنهم والتطفل وأخبار الأكلة والمآكل "، واشتمل هذا الباب على ستة فصول، جاء الفصل الرابع : "فى التطفيل وأخبار الطفيليين"

٥) كتاب "الأذكياء" "لابن الجوزى"، جاء الباب السابع والعشرون: "فى ذكر طرف من فطن الطفيليين"

٦) كتاب "نهاية الأرب فى فنون الأدب" عقد "النويرى" فصلاً بعنوان: "ذكر ما قيل فى التطفيل"

٧) كتاب "فص الخواتم فيما قيل فى الولائم" "لابن طولون"، تحدث حديثاً موجزاً عن "التطفل والطفيليين"

٨) كتاب "المؤاكلة" "للغزى"، وهو كتاب صغير الحجم، و فيه ذكر "الغزى" إحدى وثمانين عيباً، من علمها كان خبيراً بآداب المؤاكلة، ومن ضمن هذه العيوب كان التطفيل، فذكر الطفيلى، وحكى عن نوادر الطفيلية واصطلاحاتهم في أسماء الأطعمة.

---

(1) ابن عبدربه: العقد الفريد ـ تحقيق: محمد سعيد العريان ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٥٣ـ ج٧ ـ ص ص١٩٦ ـ ٢٠٦.

تعريفات أولية:

من الأنسب أن نتحدث عن مجموعة من التعريفات التى تتصل بالتطفيل وتحتاج إلى إلقاء الضوء عليها بشيء من الإيجاز:

ـ معنى التطفيل وأسبابه، وأول مَنْ نُسِبَ إليه وعُرِفَ به:

جاء فى "لسان العرب" أن «طَفَّل اللَّيْلُ: دَنا وأَقْبَل بظلامه، وفي قولهم فلان طُفَيْليٌّ للذي يدخل الوليمة والمآدبَ ولم يُدْعَ إليها، وقد تَطَفَّل، وهو منسوب إلى طُفَيْل، وطُفَيْلٌ: شاعر معروف؛ وطُفَيْلُ الأَعراس، وطُفَيْل العرائس: رجُلٌ من أَهل الكوفة من بني عبد الله بن غَطَفان كان يأْتي الولائم دون أَن يُدْعى إليها، ورجُلٌ طِفْليلٌ: يدخل مع القوم فيأْكل طَعامَهم من غير أَن يُدْعى، والعرب تُسَمِّي الطُّفَيْليَّ الرَّاشِنَ والوارِش».

وأيضًا قيل التطفيل «مأخوذٌ من الطَّفَلِ وهو الظُّلْمَةُ؛ لأن الفقيرَ من العرب كان يحضر الطعامَ الذي لم يُدْعَ إليه مُتستِّراً بالظُّلْمَةِ لئلا يُعْرَف. وقيل: سُمِّي بذلك لإظلام أمرِهِ على الناس؛ لا يُدْرى مَنْ دعاهُ، وقيل: بل هو من الطَّفَلِ لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، ولذلك قيل: أطْفلَ من ليلٍ على نهار»(٢).

ويذكر "الجاحظ" فى كتابه: "البخلاء" أن «قول الناس فلانٌ طفيليٌ ليس من أصول كلام العرب، ليس كالراشن واللُّموظ. وأهل مكة يسمُّونه البرُرَقيّ. وكان بالكوفة رجلٌ من بنى عبدِالله بن غَطَفان يسمى "طُفَيل": كان أبعد الناس نُجعة فى طلب الولائم والأعراس، فقيل له لذلك "طفيل العرائس"، وصار ذلك نبذاً له، ولقباً لا يُعرف بغيره. فصار كلُّ من كانت تلك طِعمته يقال له "طفيلى"»

إذن نستنتج ـ مما سبق ـ أن الطفيليّ هو ذلك الشخص الذى يدخل على قوم ليأكل من طعامهم وذلك من غير أن يُدْعَى، ولفظ الطفيلى مأخوذ من الطّفَل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته؛ لأن أمر الطفيلى يُظْلم على القوم فلا يدرون من دعاه، ولا كيف دخل عليهم، والتطفيل منسوب إلى رجل يسمى: (طُفَيْل) من أهل الكوفة من بنى غطفان، كان يأتي الولائم من غير أن يُدعى إليها، فكان يُقال له طُفَيْلُ الأعراسِ والعرائس، وإليه يُنسب الطفيليون.

كتاب: "التطفيل" للخطيب البغدادى

فى البدء: من هو الخطيب البغدادى .. مؤلف كتاب "التطفيل"؟!

---

(٢) التذكرة الحمدونية ـ ج٩/ ص١٠٨. وراجع أيضاً: نثر الدر ـ ج٢/ص١٨٦.

هو أَحْمد بن عَليّ بن ثَابت بن أَحْمد بن مهْدي، ويُكنى أبا بكر، واشْتُهِرَ بـ "الْخَطِيب البغدادى" أحد أَعْلَام الْحفاظ ومهرة الحَدِيث وَصَاحب التصانيف المنتشرة. وأشهرها (تاريخ بغداد) وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، نحو من ستين مصنفاً.

ولد يَوْم الْخَمِيس لستٍ بَقينَ من جُمَادَى الْآخِرَة سنة اثْنَتَيْنِ وَتِسْعين وثلاثمائة. وَلَكَنَ لوالده "الْخَطِيب أبي الْحسن عَليّ" إِلْمَام بِالْعلمِ وَكَانَ يخْطب بقرية درزيجان إِحْدَى قرى الْعرَاق، ولعناية الأب بالعلم حض وَلَده أَبَا بكر على طلب العلم وتحصيله منذ صغره، ومن ثم وجهه إلى السماع، فَسمع وَله إِحْدَى عشرَة سنة.

ورحل "الخطيب البغدادى" فى سبيل طلب العلم رحلات كثيرة أفاد منها فى تكوينه العلمى والمعرفى، حيث سافر إِلَى "الْبَصْرَة" وَهُوَ ابْن عشْرين سنة وَإِلَى "نيسابور" وهو ابْن ثَلَاث وَعشْرين سنة ثمَّ إِلَى "أَصْبَهَان" ثمَّ رَحل فِي الكهولة إِلَى "الشَّام".

سمع أَبَا عمر بن مهْدي الْفَارِسِي وَأَبا الْحسن بن رزقويه وَأَبا سعد الْمَالِينِي وَأَبا الْفَتْح بن أبي الفوارس وهلالاً الحفار وَأَبا الْحُسَيْن بن بَشرَان وَغَيرهم بِبَغْدَاد. وَأَبا عمر الْهَاشِمِي رَاوِي السّنَن وَجَمَاعَة بِالْبَصْرَةِ. وَأَبا بكر الْحِيرِي وَأَبا حَازِم العبدوي وَغَيرهمَا بنيسابور. وَأَبا نعيم الْحَافِظ وَغَيره بأصبهان. وَأحمد بن الْحُسَيْن الكسار وَغَيره بالدينور وبالكوفة والري وهمذان والحجاز.

وَقدم دمشق سنة خمس وَأَرْبَعين حَاجاً فَسمع خلقاً كثيراً وَتوجه إِلَى الْحَج ثمَّ قدمهَا سنة إِحْدَى وَخمسين فسكنها وَأخذ يصنف فِيهَا كتبه وَحدث بهَا، ومصنفاته تزيد على السِّتين مصنفا، ويقال: بل مئة مصنف.

روى عَنهُ من شُيُوخه أَبُو بكر البرقاني وَأَبُو الْقَاسِم الْأَزْهَرِي وَغَيرهمَا. وَمن أقرانه عبد الْعَزِيز بن أَحْمد الكتاني وَغَيره وَابْن مَاكُولَا وَعبدالله بن أَحْمد السَّمرقَنْدِي وَمُحَمّد بن مَرْزُوق الزَّعْفَرَانِي وَأَبُو بكر بن الخاضبة وخلائق يطول سردهم. ثمَّ حدث الْحَافِظ أَبُو الْقَاسِم بن عَسَاكِر عَن أَرْبَعَة وَعشْرين شَيخاً حدثوه عَن الْخَطِيب مِنْهُم: أَبُو مَنْصُور بن زُرَيْق، وَالْقَاضِي أَبُو بكر الْأنْصَارِيّ، وَأَبُو الْقَاسِم بن السَّمرقَنْدِي وَغَيرهم.

وَكَانَ من كبار الْفُقَهَاء تفقه على "أبي الْحسن بن الْمحَامِلِي" و"الْقَاضِي أبي الطّيب الطَّبَرِيّ" و"أبي نصر بن الصّباغ".

وَكَانَ يذهب فِي الْكَلَام إِلَى مَذْهَب "أبي الْحسن الْأَشْعَرِيّ"، وَأَرَادَ الرحلة إِلَى "ابْن النّحاس" إِلى مصر قَالَ: فاستشرت "البرقاني" هَل أرحل إِلَى ابْن النّحاس إِلَى مصر؟ أَو أخرج إِلَى نيسابور إِلَى أَصْحَاب الْأَصَم؟ فَقَالَ: إِنَّك إِن خرجت إِلَى مصر إِنَّمَا تخرج إِلَى رجل وَاحِد إِن فاتك ضَاعَت رحلتك؛ وَإِن خرجت إِلَى نيسابور فَفِيهَا جمَاعَة إِن فاتك وَاحِد أدْرَكْت من بَقِي فَخرجت إِلَى نيسابور. ثمَّ أَقَامَ بِبَغْدَاد وَألقى عَصا السّفر إِلَى حِين وَفَاته.

كَانَ "الخطيب البغدادى" ذو معرفَة وحفظ وإتقان وضبط لحَدِيث رَسُول الله (ص)، حيث يعرف علل الحديث وَأَسَانِيده ويعلم بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره ومطروحه، وَلم يكن للبغداديين بعد أبي الْحسن "الدَّارَقُطْنِيّ" مثله وَقَالَ: "المؤتمن السَّاجِي": مَا أخرجت بَغْدَاد بعد "الدَّارَقُطْنِيّ" أحفظ من "الْخَطِيب".

وَكَانَ "للخطيب" ثروة ظَاهِرَة وصدقات على طلاب الْعلم دارة، يهب الذَّهَب الْكثير للطلبة.

قَالَ "المؤتمن السَّاجِي": تحاملت الْحَنَابِلَة عَلَيْهِ قلت وابتلى مِنْهُم بِوَضْع أكاذيب عَلَيْهِ لَا يَنْبَغِي شرحها.

وَقَالَ غير وَاحِد مِمَّن رافق "الْخَطِيب" فِي الْحَج إِنَّه كَانَ يخْتم كل يَوْم ختمة إِلَى قريب الغياب قِرَاءَة ترتيل ثمَّ يجْتَمع عَلَيْهِ النَّاس وَهُوَ رَاكب يَقُولُونَ حَدثنَا فيحدثهم.

وَيذكر أَنه لما حج شرب من مَاء زَمْزَم ثَلَاث شربات وَسَأَلَ الله ثَلَاث حاجات، الأولى: أَن يحدث بتاريخ بَغْدَاد، وَالثَّانية: أَن يملي بِجَامِع الْمَنْصُور، وَالثَّالِثَة: أَن يدْفن إِذا مَاتَ عِنْد "بشر الحافي" فحصلت الثَّلَاثَة.

وقرأ (صحيح البخاري) على "كريمة بنت أحمد" في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد وحظي عند الوزير "أبي القاسم بن مسلمة"، الذى كان وزيراً للخليفة العباسى "القائم بأمر الله"، ولقد علت مكانة "الخطيب البغدادى" لدى الوزير بعدما كشف الخطيب زيف الكتاب الذى ادَّعى به اليهود أنه كتاب من رسول الله (ص) بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، حيث يُحكي أَن بعض الْيَهُود أظهر كتابا وَادّعى أَنه كتاب رَسُول الله (ص) بِإِسْقَاط الْجِزْيَة عَن أهل خَيْبَر وَفِيه شَهَادَات الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم وَذكروا أَن خطّ عَليّ فِيهِ فَعرض على الْخَطِيب فَتَأَمّله وَقَالَ هَذَا مزور لِأَن فِيهِ شَهَادَة مُعَاوِيَة وَهُوَ أسلم عَام الْفَتْح وخيبر فتحت قبل ذَلِك وَلم يكن مُسلما فِي ذَلِك الْوَقْت وَلَا حضر مَا جرى وَفِيه شَهَادَة سعد بن معَاذ وَمَات فِي بني قُرَيْظَة بِسَهْم أَصَابَهُ فِي أكحله يَوْم الخَنْدَق وَذَلِكَ قبل فتح خَيْبَر بِسنتَيْنِ، فأعجب الناس ذلك. وهذا جعل الوزير "ابن المسلمة" يطلب إلى الخطباء والوعاظ والقصاص ألا يورد أحد منهم حديثا عن رسول الله (ص) حتى يعرضه على "أبى بكر الخطيب"، فما أمرهم بإيراده أوردُوه، وما منعهم منه ألغوْه.

وقد كان "الخطيب" حسن القراءة، فصيح اللفظ، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها كتاب (التاريخ)، وكتاب (الكفاية)، و(الجامع)، و(شرف أصحاب الحديث)، و(المتفق والمفترق)، و(السابق واللاحق)، و(تلخيص المتشابه في الرسم)، و(فضل الوصل)، و(رواية الآباء عن الأبناء)، و(رواية الصحابة عن التابعين)، و(اقتضاء العلم للعمل)، و(الفقيه والمتفقه)، وغير ذلك.

وفى مرض مَوته أوقف جَمِيع كتبه على الْمُسلمين وَتصدق بِمَال جزيل وَفعل مَعْرُوفاً كثيراً، حيثَ فرق جَمِيع مَاله فِي وُجُوه الْبر وعَلى أهل الْعلم والْحَدِيث وَكَانَ ذَا ثروة وَمَال كثير فَاسْتَأْذن أَمِير الْمُؤمنِينَ الْقَائِم بِأَمْر الله فِي تفريقها فَأذن لَهُ وَسبب اسْتِيفَانه أَنه لم يكن لَهُ وَارِث إِلَّا بَيت المَال.

توفّي "الْخَطِيب" يوم الاثنين فِي السَّابِع من ذِي الْحجَّة سنة ثَلَاث وَسِتِّينَ وَأَرْبَعمِائَة بِبَغْدَاد، وله ثنتان وسبعون سنة، في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة، جوار المدرسة النظامية، واحتفل الناس بجنازته، حيثَ تبع جنَازَته الجم الْغَفِير وَكَانَ لَهُ بهَا جمَاعَة ينادون هَذَا الَّذِي كَانَ يذب عَن رَسُول الله (ص) هَذَا الَّذِي كَانَ يَنْفِي الْكَذِب عَن رَسُول الله (ص) هَذَا الَّذِي كَانَ يحفظ حَدِيث رَسُول الله وَكَانَ الشَّيْخ أَبُو إِسْحَاق الشِّيرَازِيّ مِمَّن حمل نعشه.

وَدفن بِبَاب حَرْب إِلَى جَانب "بشر بن الْحَارِث" في قبر رجلٍ كان قد أعده لنفسه، فسئل أن يتركه للخطيب فشح به ولم تسمح نفسه، حتى قال له بعض الحاضرين: بالله عليك لو جلست أنت و"الخطيب" إلى "بشر" أيكما كان يجلسه إلى

جانبه؟ فقال: الخطيب. فقيل له: فاسمح له به. فوهبه منه فدفن فيه رحمه الله وسامحه، وهو ممن قيل فيه وفي أمثاله قول الشاعر:

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً *** حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً.

==========

السؤال الثالث:

٦. فى الليلة السابعة من كتاب "الإمتاع والمؤانسة" دارت مناظرة حجاجية بين "ابن عبيد" و"أبى حيان" حول الحساب والاستدراك والتفصيل فى مقابل البلاغة والإنشاء والتحرير .. وتكشف المناظرة عن الفكر النقدى للتوحيدى.. لخص المناظرة ثم علق عليها بأسلوبك.

كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدي

هو: علي بن محمد بن العباس التوحيدي . أبو حيان. ولقد تحدث عنه أستاذنا د. محمد زغلول سلام. رحمه الله تعالى. فى كتابه "الأدب فى عصر العباسيين (القرن الرابع)": «يُعدُّ أبو حيان من كُتّاب العربية المشهورين فى القرن الرابع الهجرى، وهو من الأدباء الموسوعيين الذين جالوا فى شتى ميادين المعرفة. ولد أبو حيان فى بغداد فى العشر الأول من القرن الرابع الهجرى سنة ٣١٠ هـ من أبوين فقيرين، وقد صمتت مصادر التاريخ والتراجم عن أخبار أسرته ونشأته، واضطربت فى عام ولادته». فيذكر "السندوبى" أنه ولد «فى بغداد سنة ٣١٢ هـ».

ولقد ترجم له "ياقوت الحموى" فى "معجم الأدباء"، فقال عنه: «قدم بغداد فأقام بها مدة، ومضى إلى الريّ وصحب الصاحب بن عباد، وقبله أبا الفضل ابن العميد، فلم يحمدهما، وعمل فى مثالبهما كتاباً، وكان متفنناً فى جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأى المعتزلة. وكان جاحظياً يسلك فى تصانيفه مسلكه ويشتهى أن ينتظم فى سلكه، فهو شيخ فى الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء. سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان. الذم شانه والثلب دكانه، وهو مع ذلك فردُ الدنيا الذى لا نظير له ذكاءً وفطنة وفصاحة ومكنة. كثير التحصيل للعلوم فى كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً يتشكى صرف زمانه، ويبكى فى تصانيفه على حرمانه. ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره فى كتاب ولا دبجه فى ضمن خطاب»

واضح من كلام "ياقوت" السابق أن أبا حيان كان من الأدباء المبعدين، فلم يحالفه الحظ، ولم تسنح له الفرصة ليعيش قريباً من الحكام، فيحظى فى كنفهم بالحياة الرغدة الآمنة. ومن الجدير بالذكر أن عصر الكاتب غلب عليه «الفتن والاضطرابات السياسية على عكس حال العلم والفن والأدب». فقد شهد الجانب السياسى

والاقتصادى ضعف وتدنى وانقسام فى أواخر العصر العباسى، حيث تفككت الخلافة إلى دويلات، ولم تعد متلاحمة ومتماسكة، كما ظهرت الفرق والمذاهب والحركات السرية والعلنية. فى حين شهد الجانب العلمى والفكرى والفلسفى والأدبى ازدهاراً ملحوظاً، وإن عانى العلماء والأدباء من شظف العيش ولم يجدوا أمامهم لتأمين أقواتهم وطعامهم إلا حرفة "الوراقة"، فعلى سبيل المثال: (يحيى بن عدى الذى كان شيخاً للفلسفة ببغداد، كان ينسخ فى اليوم والليلة مائة ورقة مقابل عشرة دراهم، أبو سعيد السيرافى كان لا يخرج إلى مجلس علمه إلا إذا نسخ ما قيمته عشرة دراهم، وكذا اشتغل أبو حيان بالوراقة لأنه كان واحداً من هؤلاء العلماء الفقراء، وكان كثير الشكوى، فنجده يشتكى إلى أحد رجال الدولة، يشكو إليه مرارة العوز والحاجة ويطلب منه أن يخلصه مما يعانى، فتقرأ: "خلّصنى أيها الرجل من التكفف، انقذنى من قيد الضرّ، اشترنى بالإحسان، اعتبدنى بالشكر، استعمل لسانى بفنون المدح، اكفنى مؤونة الغداء والعشاء ... إلى متى الكُسيرة اليابسة، والبُقيْلة الذاوية، والقميص المرقع ... قد أذلنى السفر من بلد إلى بلد، وخذلنى الوقوف على باب باب". ولعل هذه الشكوى الظاهرة والمباشرة، قد وظفها "الهمذانى" فى مقاماته، فالبطل ـ كما مرّ بنا فى المقامة الأرمنية ـ أديب محتال، يحتال على الناس من أجل الطعام، فهو يريد أن يملأ بطنه بالطعام، فتارة يحتال، وتارة يتسول فى الأسواق...

إذن فلم يكن «أبو حيان ذا حظٍ من هناءة العيش وهدوء البال، بل كان بائساً فقيراً، رقيق الحال، مشرد الفكر، لا يكاد يستقر فى مكان إلا ويزعجه أمر فيرتاد غيره، دائم التفكير فى أهل الدنيا وما يمرح فيه الجاهلون والمنقوصون، ومن لا يساوى منهم شراك نعله، من الجاه العريض، والدنيا المقبلة، والحظ المواتى، والسلطان الكبير، والنفوذ العظيم، ومقارنة ذلك بما هو عليه من البؤس والشقاء، وشظف العيش، وتكفف الكريم، واستجداء البخيل واللئيم»

حياته العلمية ومؤلفاته:

ألم "أبو حيان" من كل علم بطرف، حيث انشغل منذ نعومة أظافره بالدرس والتحصيل على يد كبار علماء عصره، فدرس علوم القرآن والفقه والفرائض والحساب على يد "أبى سعيد السيرافى"، كما درس علم الكلام والمنطق والنحو على يد "على بن عيسى الرُمَّانى"، وتلقى الفلسفة على يد "أبى زكريا يحيى بن عدى"، وأخذ عن "أبى حامد أحمد بن بشر المروزى" علوم الفقه.

ولقد كان كثير الانتقال والترحال وقد صقل ذلك خبرته بالحياة والناس، فارتحل إلى الحجاز وفارس والعراق، واضطرته ظروف حياته الصعبة إلى مخالطة الطبقات الدنيا والتعايش معهم، ولا سيما من الصوفيين، فقد لبس لبسهم واتخذ سمتهم.

وعلى الرغم من ظروف حياته الصعبة وتنقلاته وعدم استقراره إلا أنه كتب مؤلفات عدة، ومن أهمها: (**الإمتاع والمؤانسة** ـ **الهوامل والشوامل** ـ **البصائر والذخائر** ـ **مثالب الوزيرين** ـ **الصداقة والصديق** ـ **المقابسات** ـ المحاضرات ـ الرد على ابن جنى فى شعر المتنبى ـ رياض العارفين ـ الحج العقلى إذا ضاق الفضاء عن

الحج الشرعى . الرسالة فى أخبار الصوفية . صلات الفقهاء . الرسالة البغدادية . فى ثمرات العلوم . . الرسالة فى الحنين إلى الأوطان . **الإشارات الألهية)**

أخريات حياته .. وفاته:

تقدم به العمر وتناوبته الأمراض، ونظر فى أيامه المنصرمة فوجدها هباءً، وهنا استقر فى ذهنه الاتجاه الصوفى، فسلك سلك الصوفيين، واندرج وسطهم، ليتحول إلى شيخ كبير له أتباعه، ومريديه. وفى أخريات حياته شعر بالإحباط والضيق من مجتمعه، الذى لم يقدره، ويفرد له المكانة التى يستحقها بوصفه عالماً ومفكراً وفيلسوفاً، وهنا رأى أن يحاكم مجتمعه، بتهمة التقصير فى حقه، فقرر أن يحرق كتبه ونتاج فكره وتأملاته، ضناً بها على من لم يعرف قدرها وقدره. وبالفعل قام "التوحيدى" بحرق كتبه، ولم يبق منها إلا ما سبق أن تداول بين أيدى القراء.

الإمتاع والمؤانسة:

أما عن الكتاب الذى بين أيدينا فهو كتاب: "الإمتاع والمؤانسة"، ويعدُّ هذا الكتاب من عيون الأدب العربي، ويقع فى ثلاثة أجزاء، وجعله فى أربعين ليلة، قضاها التوحيدي في مسامرة الوزير المهلبى "ابن سعدان". ويذكر د. محمد زغلول سلام . رحمه الله . أن "التوحيدى" ألفه «وقد اكتملت شخصيته الأدبية والعلمية وركن إليه الوزير، وقربه، وطلب إليه مسامرته بطرائف رأيه وغزير علمه وأدبه... يجمع فيه تلك المجالس، وتظهر شخصيته واضحة، فهو دائماً يجيب برأيه أو بعلمه، أو بروايته وحفظه، وإذا عز عليه الجواب طلب مهلة ليسأل بعض أساتيذه أو العلماء فيما لم يعلم أو لم يتقن

وطريقة الكاتب فى "الإمتاع والمؤانسة" أن يقترح الوزير موضوع ما يطرحه للحوار والنقاش، وأبو حيان يجيبه عما اقترح، حتى إذا أراد الوزير الإخلاد إلى النوم سأل أبا حيان ملحة الوداع، وربما اقترح أن تكون ملحة الوداع شعراً بدوياً.

ويكشف الكتاب عن حياة الأمراء في النصف الثاني من القرن الرابع، وما كان يدور في مجالسهم من محاورات حجاجية ومناقشات حوارية.

أطيب المنى
د. أحمد شحاتة علوانى ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية